

تلك شروط الشعر، ولا بدّ أنها أيضاً شروط التكاذيب مما يجعلها جنساً أدبياً مثل سجع الكهان وهو فن أدبي، ومثل المقامات وهي فن يقوم على الكذب والحيلة اللغوية والحبكة الظرفية والبديعة. وتكون التكاذيب جنساً مثل هذه الأجناس تغذي الأجناس ولا تذوب فيها.

وإن كان لكل جنس وظيفة، حسب مفهوم آيزر عن وظيفة الإشارة ممّا يسبب وجودها، فإن التكاذيب تحمل وظيفتها ومسبب نشوئها من حيث إنها نص يفصح ويكشف، وفي الوقت ذاته نص يعبر عن حاجة إنسانية للإبداع وللتجلي من خلال اللغة، ليحفظ للإنسان موقعاً في دورة الحياة يدوم هذا الموقع ما دامت اللغة. ويتحقق ذلك من كون اللغة استنطاقاً للمسكوت عنه وتشجيعاً للنفس المكسورة كي تصلح كسرهما بالنص. وكذلك فإن النص يفصح عن مشكل التعبير الإنساني عن الذات الإنسانية، فهو إعلان حياة وحيوية ضد العنة اللغوية والعجز الإنشائي. وفيه يأتي الخيال كفعل إبداعي لتخليص الإنسان من مشكل (العنة). وتكون التكاذيب أصدق تعبير ابتكره الأعراب للخلاص من الجفاف والقحط الظرفي والذاتي. ولا يقف الأمر عند حدود المبدع الأعرابي، ولكن التكاذيب تهبط علينا نحن المتلقين بما إنها لغة إنسانية تأتي إلينا ونفعل بها كجزء منّا (تعبير عنّا) وكصورة لنا تهجس بهواجسنا وكأنها علمنا الأول، زمن طفولتنا وزمن خيالاتنا وأحلامنا. هي لنا العتق والإنطلاق وعبور الظرف والمشكل. والتكاذيب إذ تعبّر عن خوف الأعرابي من الليل ومن الجوع فهي في الوقت ذاته تحرير وانعتاق من الليل ومن الجوع، من القحط